المراجعة كترجمة: حتمية الدقة وضرورة الكتابة وزينة البيان ونشوة الإبداع

د. محمد الديداوي

خلاصة

يُفترض في الترجمة أن تكون حصيلة منظومة متّصلة من عناصر التدريب والتحصيل المتدرّجين وخاتمة سلسلة متّسقة ومتعاقبة من عمليات اتخاذ القرار وصولاً إلى البلاغ والتبليغ بأدقّ المعاني وأجلها والبيان والتبيين بأبهى الحلل وأنصعها.

ومن الإشكالات الأساسية المطروحة تعريف المترجم وتحديد مقتضيات الترجمة وإظهار الفارق الجوهري بين المترجم ومزدوج اللغة، الذي هو في حقيقة الأمر مشروع مترجم. وقد يكون وبالاً على الترجمة.

كما أن المراجعة، التي هي ترجمة في الترجمة وكتابة وتعريب للبنيان، توخّيا لمترلة وسطى بين التصرّف المنحرف بالفحوى والفكرة والتحرّف المنفّر بالحرفية والركاكة، من أركان ضبط النوعية وتدبير الترجمة. ولعل الترجمات المتعددة التي قام بها نقلة عرب جهابذة في اللغة والأدب، أبرزهم رواد النهضة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كانوا أقرب إلى ازدواجية اللغة منهم إلى الترجمة الدقيقة الوافية، مؤشرٌ ملحّ إلى ضرورة تكوين المترجم ضماناً للنوعية والدقة وسموّ اللغة، ذلك أن ترجماهم كانت قمّة في التعبير متميّزة في السبك، مع الابتعاد عن الأصل. وفي المقابل، كثيرا ما يعجز مترجم اليوم الشاب المتكوّن، على نقيضهم، عن مجاراهم في اللغة وهو مدقّق بالمضمون ملتزمٌ وفي البيان وهو حرفيٌّ للأصل مستسلمٌ. فكيف السبيل إلى الجمع بين الحسنيين؟

الغرض من هذا البحث هو التطرق إلى مفهوم الترجمة ككتابة وتناول شروط الترجمة الصحيحة الجيدة ووسائلها واشتراطات المترجم الحقيقي ومؤهلاته الأساسية، مع مراعاة علمية الأدب وأدبية العلم، ومستلزمات الكتابة والإبداع في حدود الإطار الترجمي. من هذا المنظور،

تتأتّى الجودة وتكون الترجمة متعة ومنفعة.

يمكنني أن أشهد أن كتبي وأبحاثي تظهر بعد مخاضٍ طويل وإعادة كتابة متكررة.

وإنني لأستشعر التواضع في العمل عندما أبصر النتائج الأولى الرديئة وأحس بالرضا وأنا أصل إلى النتائج الأخيرة المحتشمة (دوبوغراند ١٩٩٥: سادساً-٣٤).

٠- مقدمة

السؤال الأول المطروح بإلحاح شديد هو: من الأحق بأن يحمل اسم المترجم؟ فالفارق جلي بين المترجم الذي يستطيع أن يزاوج بين اللغات وهو على بصيرةٍ منها وقادرٌ على مد الجسور بينها ومزدوج اللغة، الذي كثيراً ما يتوهم أن في ميسوره أن يترجم، في حين أن معرفته باللغتين مختلة وقدرته على التنقل فيما بينهما محدودة. وغالبا ما يأنس في نفسه، وهو مجرد مشروع مترجم، بأن باستطاعته أن يقتحم معترك الترجمة فيفسد فيه ويخبّص. ثم، كيف السبيل إلى أن يصبح مترجما محنّكا دقيق الأداء مميّز الأسلوب، إن كان مؤهلا لذلك؟

يستدل من التجربة أن الكثرة الكاثرة من المترجمين تعييهم الترجمة، إذ يكون نتاجهم حرفيا مذموما أو، على النقيض من ذلك، تصرّفيا منحرفا، بينما المرتبة الوسطى هي الأجدى، إذ تكون الترجمة أمينة من دون ركاكة ومتصرّفة من غير ابتعادٍ. وهذا لا يتأتّى إلا بالمراس والدربة والتلقّن والتجربة. وإن لذلك لمستلزمات واشتراطات لا غنى عنها، على رأسها الملكة الكتابية.

## ١-	مقتضيات التدريب ومكوناته الأساسية

المترجم يختلف عن مزدوج اللغة (انظر الديداوي ٢٠٠٧) من حيث أن من المفترض أن تكون معرفته اللغوية متوازنة ومترابطة ومتّسقة ومتطورة، على خلاف هذا الأخير. لذا، وجب تكوينه السليم واتباعه للقواعد والأصول المقنّنة توخياً للجودة والدقة. وتتصدر هذه المتطلبات القدرة على الكتابة والإنشاء. لا، بل إن الأحرى بالطالب الجامعي والأجدر به، على العموم، لكي ينجح في مساعيه الأكاديمية أثناء التحصيل ويفلح في مراميه المهنية، أن يملك ناصية الإنشاء. وهذا ما دفع بدوبوغراند (١٩٨٥) إلى أن ينادي بتدريس الإنشائيات في الجامعة. وتقيّم قدرة المنشئ عليها استناداً إلى ثمانية معايير، هي:

- **الاستعمال:** الصحة والانحراف. هذا معيارٌ له علاقة بالتغيّرات في مضمار النحو والإملاء والترقيم والإعراب، وبه تتبيّن سلامة الاستعمال ويتوضّح صواب الاختيار. وجدير بالذكر أن بعض الأخطاء قد تخلّلت الكتابات المرموقة والمعاجم، فأصبحت أخطاءً شائعة ومقبولة يتداولها الناس على غير صحتها، من حيث المبدأ والقاعدة. وهذا ما أفضى إلى إصدار معجم للأخطاء الشائعة. إلا أن المرء لا يملك إلا أن يتساءل إن كانت لا تزال فعلا أخطاء بعد تقبّلها.

- **والمعرفة:** الاطلاع والاستحضار. بهذا تتضح البراعة في الربط بين المعرفة الكامنة والأداء الفعلي واقتياد المفردات والتعابير وتفعيلها، أي إخراجها من القوة إلى الفعل (انظر ابن خلدون [٢٠٠٠]: ٣٧١)، في تمازج وتناغمٍ بين القوة الحافظة والقوة المائزة، التي تغربل ما حفظ، والقوة الصانعة التي تستوعب وتبتكر بناءً على القوتين السابقتين (انظر القرطاجني [٢٠٠٢]).

- **والإلمام:** الفصاحة والعيّ. من هنا تتجلى إمكانات التعامل مع النص بأقل جهد ممكن، من غير تردد أو ارتباك.

- **والفعالية:** النجاح والإخفاق. هي مدى إسهام نص ما في البلاغ والتبليغ وتُبنى على مخاطبة المستمعين أو القراء حسب أقدار عقولهم (أنظر العسكري في كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، مثلا) ومقدار تفاعلهم مع النص.

– **والتكيّف**: المرونة والتشدد. هذه المسألة لها علاقة أيضا بالفعالية ومدى تكييف النص المنشأ حسب مقتضى الحال، إذ يكون الأسلوب في غاية التبسيط أو في منتهى التقعّر والتنميق.

– **والصوت**: التميّز والتوسّط. أي الطابع الذي يطبع المنشئ مقارنة بأصحاب اللغة. وكلما كان الصوت متميّزا، استلزم من المتلقي مقدرة عالية على الاستيعاب.

– **والمشاركة** : الطواعية والإلزام. فالطالب قد يشارك في المسعى الدراسي بملء لإرادته ومحض اختياره فيقرأ ويتلقّن حباً في القراءة والتلقّن. وهذا أولى له وأدعى وأجدى. وإن من يطالع ويستكشف من تلقاء نفسه لا ريب أنه ينال أعلى الدرجات ويتفوّق ويبرز.

– **المعرفة المضمونية**: الدراية والجهل. الإحاطة بالموضوع والمطالعة فيه تكسبان رصيداً من المصطلحات أكثر فاعلية. إنه التخصص.

ويتعين استكمال المهارات الإنشائية بالمعارف اللغوية واللسانية.

ولتدريب الطالب، عند اكتمال آلة الكتابة، على أصول الترجمة، توجد في أيامنا هذه شتى المؤسسات تتيح عدة خيارات (دوبوغراند؛ أنظر الموقع الشبكي :(http://www.beaugrande.com/VitaNew.htm

– **دروس الترجمة التخصصية**: في كليات وشعب الجامعات. ومن مزايا هذا البديل أنه أقل تكلفة. غير أ، هذا النوع أميل إلى التركيز على الأدب والأدبيات والأنسب له أن يزداد ارتكازاً على اللغة التخصصية والمصطلح المتخصص، لا أن ينحصر في الترجمة الأدبية، وإن كان كبار مترجمي روائع الأدب نادرين يعدون على رؤوس الأصابع في كافة اللغات والثقافات.

– **والترجمة المتعددة الفروع**: هذا نوع من الخيارات يسمح للطالب أن يجمع بين الأدب والدراسات المتخصصة في مختلف الفروع الجامعية، متنقّلا بينها في تكاملٍ وتنوّع. ومن حسناته أيضا أنه يكفل دراسة المادة على أعلى المستويات ويتيح التعمق في صلب الموضوع المدرّس أكثر مما هو متاح كمدخل للمواد المتخصصة في المدرسة أو المعهد، الذي يتمحور مجهوده حول الطريقة.

– **ومعاهد ومدارس الترجمة:** لها مركز الكيان المستقل في الإطار الجامعي. وقد تكاثر عددها ومنها ما هو حر تابع للقطاع الخاص، لأن ربحية مهنة الترجمة أصبحت تجتذب والاستثمار في الإعداد بات مجديا من الناحية المالية.

ومن المفرح أن معظم المؤسسات، إن لم يكن كلها، قد أدخلت ضمن مقرّراتها الدراسية المصطلحيات، مدركة أن هذا العلم رافدٌ للترجمة وأن المصطلح محرك لها وعصب النص. فهو النص الأصغر، أو قل إن شئت النُّصَيْص، الذي تبدأ منه الترجمة الجزئية.

غير أن هناك أمراً في غاية الأهمية، لا بد من أخذه في الحسبان، ألا وهو الربط بين النظرية والتطبيق والتفاعل بينهما (أنظر بيترز ٢٠٠٥). وفي الحالات السوية، ولكي تسير العملية في سلاسة ويسر، يكون التطبيق سنداً للتنظير ويكون التنظير عوناً على التطبيق. فالتنظير يهيئ للتطبيق ويقنّنه والتطبيق يحدد التطبيق ويجسده ويؤكده. ويستعمل المترجم، كأداة رئيسية، الكلام الذي يمكن أن يعرّف على أنه نظرية المعرفة والخبرة البشريتين (ما يمكن أن يقوله المتكلمون أو الكتاب أو يتحدثوا عنه) والخطاب، الذي هو تشكيل لنصوص متلائمة. ويلزم الإتّزان بين نظرية والتطبيق وتطبيقية النظرية، مثلما يتوجب الموازنة بين اللغات (انظر دوبوغراند ١٩٩٧و ٢٠٠١).

ولقد تجلّت للجاحظ (٧٧٥م-٨٦٨م) ضرورة التوازن بين المبنى، الذي يبلغ ذروته بالبيان، والمبنى، الذي يكتمل مبتغاه بالمضمون الصحيح والدلالة الدقيقة. كما أن المترجم يجب أن يكون في منزلة الكاتب. وفي ذلك يقول (مع التضخيم):

> لابد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول منها، حتى يكون فيهما سواءً وغايةً ؛
>
> .....
>
> وكيف يقدر [المترجم] على أدائها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقّها وصدقها إلا أن يكون في العلم بمعانيها

واستعمال تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها، **ومثل مؤلف الكتاب وواضعه.**

هكذا، جعل الجاحظ البيان هو الشطر الرئيس الأول لهذه المعادلة الترجمية الجامعة ومنطلقها والإلمام بالموضوع هو الشطر الرئيسي الثاني.

وبعده بحوالي ثلاثة قرون، جاء ابن حزم الأندلسي (٩٩٤م-١٠٦٤م)، فجعل البيان هو المنطق والآلة التي " يوصل بها نفس المتكلم مثل ما قد استبانه واستقر في منها إلى نفس المخاطب، وينقلها بصوت مفهوم بقبول الطبع منها للغة اتفقا عليها، فيستبين من ذلك ما قد استبانته نفس المخاطب، مثل ما قد استقر في نفس المتكلم، وخرج إليها بذلك مثل ما عندها". كان ذلك في كتابه، الذي يدل عنوانه على محتواه، وهو التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (انظر مقدمته).

ومتى عبر المترجم إلى اللغة المترجم إليها، انطبق عليه ما ينطبق على المؤلف،ة من حيث الكتابة. وقد وتفطن العرب إلى أهمية تقنين الكتابة وتلقينها، فألفوا في ذلك منذ قديم الزان، ومما أُلِّف:

- **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر** لأبي الهلال العسكري (ت نحو ١٠٠٥م)
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** لضياء الدين نصر الله بن الأثير (١١٦٢م-١٢٣٩م)؛
- **مواد البيان** لعلي بن خلف
- **وصبح الأعشا في كتابة الإنشا** لأحمد بن علي القلقشندي (١٣٥٥م-١٤١٨م).وقد نقل الكثير عن صاحب مواد البيان.
- **ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء** لأبي الحسن حازم القرطاجني.

إلا أن اللغة العربية في أمس الحاجة إلى معجم مكتمل للمترادفات وإلى أكثر من مجرد المحاولات المحدودة التي بذلت إلى حد الساعة، في هذا الصدد، دون أن تفي بالمراد. يلزمها إصدار معاجم للكتاب والمترجمين، على غرار اللغات الأخرى، وخاصة اللغة الإنكليزية.

وللدلالة على أهمية الكتابة والأسلوب في الترجمة، كرس موسوب (٢٠٠١) حيّزا كبيرا للتحرير والتنقيح في كتابه عن المراجعة، علاوة على مقنّنات المراجعة وطرائقها ودرجاتها، إذ تبيّن له أن النص المترجم قد يحيد عن القواعد اللسانية المعمول بها أو قواعد الترجمة وأصول الكتابة في مجال معيّن، هكذا، تطرّق إلى مواضيع، منها ما يلي:

- صعوبة الكتابة؛
-ومهام المحرر؛
- والتنقيح وإعادة الكتابة والتكييف؛
- والتنقيح الذهني أثناء الترجمة؛
- ودرجات التنقيح وإجراءاته؛
- والإعراب والاصطلاح؛
- والترقيم؛
- والاستعمال؛
- وتكييف اللغة حسب القارئ ومقتضيات الحال؛
- والتسليس ؛
- والسبك والحبك والاتساق؛
- والإفراط في الإتّساق؛
- والمقروئية والوضوح؛
- والتنقيح الأسلوبي أثناء الترجمة؛
- وتركيب النص؛
- وإشكاليات النشر؛
- وأخطاء المنطق؛
- وأخطاء الواقع؛
- وتنقيح المحتوى أثناء الترجمة؛

وهذه نقطة لا بد من الوقوف عندها والتأمل فيها. إنها التأثر والتأثير فيما بين اللغة والترجمة والفكر.

لقد كانت الترجمة العربية على أشدّها في بيت الحكمة البغدادي، فبدأت بنصوص ملغزة منغلقة أدت بالجاحظ، الذي كان يتردد عليها ويجالس مترجميها والناشطين فيها، ومنهم حنين بن اسحق الذي كان يافعا يومئذ، ويستفسر منهم ويستبين ما انغلق عليه، إلى فكرة البيان في الترجمة، فوضع كتاب البيان والتبيين وأراد له أن يكون دستوراً للكاتب والمترجم كنموذج يحتذى به لإنشاء النصوص. كان منطلقه الترجمة.

وأدت الركاكة وتضعضع النص العربي إلى أن يطلب السلطان الموحدي أبو يعقوب يوسف المنصور بالله (١١٨٤م-١١٩٩م) من ابن رشد (١١٢٦م-١١٩٨م)، بإيعاز من أستاذه ابن طفيل (١١٠٠م-١١٨٥م) أن "يصلح قلق العبارة" في النص الفلسفي العربي المترجم (عن عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب)، وبذلك أبدع في شروحه وتلاخيصه.

فكان الجاحظ وابن رشد، وهما من هما في مجاليهما، صنيعة الترجمة والمترجمين وكان كلاهما مدفوعاً بها.

وجاء الملك الإسباني ألفونس العاشر، في القرن الثالث عشر، فحذا حذو العرب في نقل التراث و"أسند الكتب العربية القيّمة إلى اللغة الأندلسية الناشئة آنذاك إلى أساتذة المدرسة الطليطلية المشهورة وطلابها، وكان من بينهم" (القاضي ٢٠٠٩). وبهذا، أسدى خدمة جليلة لتلك اللغة التي اتسع صدرها وتشكّلت.

ومن الأمثلة الرائعة على هذا التفاعل، التجربة الألمانية. فقد انبرى مارتن لوثر (١٤٨٣م-١٥٤٦م) لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، فلم شتاتها ومواردها وطوّر أساليبها وكانت تجربته، في حقيقة الأمر، تمثل شهادة ميلاد لتلك اللغة، شأنه شأن دانتي (١٢٦٥م-١٣٢١م) بالنسبة للإيطالية (أنظر أوستينوف [٢٠٠٧]: ٣٧). هكذا، وصل لوثر بالألمانية، التي بدأت تتشكل في منتصف القرن الرابع عشر، إلى منعطف مهم، إذ تبلورت

وسائلها الصوتية وكان كثير الاستعمال للمثال والحكم والتعابير الاصطلاحية يسخرّها رخاء حيث يشاء، مقتنعاً بضرورة احترام مستلزمات اللغة.

وبالنسبة للإنكليزية، تعتبر النسخة "المأذون بها" من طرف الملك جيمس الأول صرحا شامخا في الأدب الإنكليزي (أوستينوف [٢٠٠٧]:٣٩).

> والطامة الكبرى، فيما يتعلق بالعربية اليوم، أن المترجمين من أبنائها ورثوا لغة محكمة البنيان متّصفة بالبيان وبدلا من أن يستغلوها الاستغلال الحسن، فإنهم يسيرون في الاتجاه المعاكس ويجرونها أحياناً إلى الوراء باستعمالهم للغة أدنى ما تتّسمه به أنها هجينٌ لها. ومن أسوأ ما هو ملحوظ التخبط في استعمال حروف الجرّ، التي أصبحت حروفاً للكسر والهدم، في وسائط الإعلام وغيرها.

٢- النوعية والمراجعة

غاية النوعية هي الجودة والتجويد. فهي الركن الأساسي من أركان الكتابة والترجمة والمراجعة ككتابة في الترجمة وتدقيقٍ فيها استناداً إلى لغة مترجم منها. والمراجعة هي أيضاً عبارة عن الخروج من الأصل وإدخاله في المنقول مع المحافظة على معانيه ودقائقه والالتزام بإطاره والحفاظ على ما يستدعيه ذلك المنقول الذي يستقل بذاته شكليا ويصبح بمثابة الأصل. وأرقى مراتب الجودة في النص العربي هو البيان، الذي يعد في مترلة الطرب في الغناء.

كما أنه:

> لا ريب أن أكبر تمييز [بين اللغتين] هو الآتي: لا وجود للترجمة "المحايدة" أو "الشفافة" التي ينعكس من خلالها النص وكأنه، في أحسن أحواله، صورة مطابقة تتجلى في مرآة. وإن "النسخ" لا يتسنّى بسبب التفعّل سواءً داخل اللغة "المُترجِمة" أو في خضمّ اللغة المترجم إليها. من هذا المنظور، ينبغي أن توضع الكتابة والترجمة على نفس المستوى بالضبط (أوستينوف [٢٠٠٧]: ١٩).

ويمكن تعريف النوعية بأنها "خاصية منتوج أو نشاط يلبي أهدافه (النوعية 'الخارجية')". وتأتي النوعية مقابل الكيفية (أو الكم مقابل الكيف). والملاحظ أنه يمكن أن يسمح بمعدل للخطأ؛ فإذا تُقُيِّد بذلك المعدل، اعتبرت النوعية 'مرضية'" (دوسي ٢٠٠٥: ١١). وبالنسبة للكيف، يمكن التمييز بين الآتي:

– **اللا–جودة:** كل ما يناقض الجودة، مثل اختلال منتوج أو خدمات ما (استياء الزبناء والتخلخل الداخلي، وهلمّ جرا).

– **وتدبير النوعية:** الإجراءات المتخذة لتدارك اللاّ–جودة ولتحقيق مقاصد الجودة؛

– **والتدبير "المخلِّص"**: هذا مفهوم يسعى إلى الوصول إلى الوضع الأمثل والتخلص، بالتالي، من العناصر غير المتكيفة والزائدة وغير المنتجة بإزالتها. غير أن هذا شبه مستحيل أحياناً في الترجمة المؤسسية، إذ يصبح بعض المترجمين الموظفين ذوي العقود الدائمة عالة على المؤسسة ويصعب الاستغناء عن خدماتهم بسبب القوانين والإجراءات الإدارية التي تستغرق السنين. وكثيرا ما يكون التقاعد هو المخلص.

– **والنوعيات:** هي التقنيات والطرائق المستخدمة لضمان أفضل نوعية في المنتجات والخدمات بأقل تكلفة ممكنة وبالتحكم في المخاطر.

وإن الفرق الجوهري بين شركة تجارية تقوم على منتجات ملموسة، من جهة، وخدمات الترجمة، من الجهة الأخرى، هي مدى إمكانية قياس النوعية والمقاييس المستعملة. وإن نوعية المنتوج تقاس على أساسي ملاءمتها لخصائص محددة سلفاً، بينما تقيّم نوعية مؤسسة ما حسب درجة فعاليتها في بلوغ الأهداف المتوخاة لها.

ويشير مصطلح **النوعية الإجمالية** ليس فقط إلى المنتجات والعمليات، وإنما كذلك إلى المؤسسة ككل، ولاسيما إلى العاملين فيها وتعبئتهم. وفي هذا السياق، هناك عوامل مهمة، هي: القيادة وتسيير شؤون الموظفين ورضاهم ورضا الزبائن والنتائج التشغيلية.

ويمكن لضبط النوعية أن يتخذ شتى الأشكال، منها:

– أن يقوم به مراقبون خارجيون؛

– وأن تكون مراقبة ذاتيا، أي يكون ذلك من جانب المنتج، الذي يدقّق في المنتوج، ثم يأتي المشرف الذي يدقق بعده. وفي هذه الحالة، تكون العملية أنجع، من حيث التكلفة، متى كان الموظفون أكفاء يعوّل عليهم بدايةً.

– وأن يكون الضبط وقائيا يرمي إلى تفادي أي خروج عن القواعد المرعية في النوعية خلال العملية الترجمية.

ولضمان الجودة، يمكن فعل ما يلي:

– تحسين الأداء وسير العمل، لا النوعية في حد ذاتها، ذلك أن رضا الزبائن، وإن كان أولوية، قد يؤدي، عند الإفراط في الطلب، إلى التأثير سلباً على الأداء؛

– واستبانة المشاكل واقتراح الحلول على أساس أهداف محددة المعالم؛

– والعمل بالتشاور مع الفاعلين وإشراكهم، قصد الاستعانة بهم في الحصول على دعمهم وجعل العمل أكثر جاذبية لهم؛

– والتركيز والتنظيم: عدم البحث عن كبش للفداء عند حدوث اختلال ما، والبحث عن الأسباب والمسببات، عوضا عن ذلك؛

– والمضي قدما بكثير من اللباقة النفسانية والتكيّف والمرونة، دون المغالاة في التعصب والتشدد.

وبالنسبة للترجمة، ينبغي اتباع نهج متعدد. فالتقييم يجب أن يطال المنتوج النهائي ومنتجه، الذي يفترض أن يكون كفءاً، لكنه قد يقصّر لأسباب عدة، وسلسلة الإنتاج، التي قد تختلّ حلقة واحدة أو أكثر من حلقاتها فتؤثر على المنتج برمته. وتقيّم أيضا الوسائل المتاحة للمنتج والظروف التي ينتج فيها. ومن أدوات التقييم، صعوبة المنتوج.

والمراجعة هي أهم وأفيد وأقوم أداة لتقييم الترجمة وتقويمها، بعد أن يتسلّح المراجع باللغة والخبرة ويبلغ أسمى درجات الكتابة، متجاوزاً الحرفية، إذ يصل إلى نقطة المتعة والاستمتاع والإمتاع. ويتحتّم أن يتعدى مستوى ازدواجية اللغة المحضة، إذ تتحقق له المزاوجة بين اللغات التي يشتغل عليها.

وفيما يخص المترجم العربي اليوم، فقد ورث تقاليد الترجمة العربية، التي تأرجحت بين تصرف رواد النهضة وتحرّف مترجمي المؤسسات الدولية. ولقد تصرف من قبل حنين بن اسحق (٨٠٨م-٨٧٣م)، لكنه أجاد، وتحرّف ابن البطريق، فذمّه الجاحظ. وكان الرعيل الأول من المترجمين الدوليين ممن ألهمتهم التجربة العربية التصرفية. فعندما التحقوا بالمنتظم الدولي اصطدموا بضرورة الموازاة بين النصوص في اللغات الرسمية الست، فعمدوا تلقائيا إلى الحرفية اللصيقة، ظنًّا منهم أنها هي الموصلة إلى الدقة، مما عرض ترجماتهم إلى الانتقاد، لأن القارئ العربي لمس فيها مسحة أعجمية غريبة عليه فاستهجنها في كثير من الأحيان. إلا أنهم كانوا فطاحلة لغويين وتميّزوا بالإبداع المصطلحي، فتركوا للأجيال الصاعدة من المترجمين إرثا رائعا من المصطلحات التي حلوا بها الإشكالات. هكذا تميّزوا وأبدعو أيما إبداع في الترجمة الجزئية، التي لم تكن تستوجب القواعد الكلية. ومن الواضح أن الترجمة النصية الكلية كانت تستلزم وضع معايير للتصرف مع الدقة، باتباع قواعد لم تكن موجودة والاهتمام بنظريات لم تكن مستوعبة أو مُستْبانة. وقد ألهتهم عن ذلك وتيرة العمل وزحمته التي لا ترحم. كما أن بعض الصكوك القانونية، مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كانت في غاية الجودة حبكاً ومعنىً لما خصص لها من اعتناء وعناء. ويكفي لتبيّن إسهامهم القيّم التوقف عند نصوصهم، لا سيما الأولى منها، لكي يتجلّى مقدار مكابدتهم ومعاناتهم لوضع المقابلات وحل المعضلات المصطلحية يومذاك التي تبدو الآن طيّعة هيّنة.

وإن الإشكال المطروح في الوقت الراهن هو أن المدرسة التقليدية العربية المتفوقة في اللغة تحتاج إلى التقنين لوضح حدود للتصرف والمدرسة الحديثة المتبصّرة في القواعد الترجمية ينبغي لها أن تبرع في اللغة. وهذا لن يحصل إلا برفع مستوى اللغة إلى أعلى علّيين أسوة بالسلف الصالح ومَنْهَجة الترجمة بما يكفل الكتابة الفائقة والدقة الممعنة.

كل هذا يجب أن يكون في نطاق علمية الأدب وأدبية العلم. ذلك أن النهج التكاملي الذي نادت به سنيل-هورنبي (١٩٩٥) يقتضي ألا يميّز بين النصوص وبين الأدب والعلم، اللهمّ إلا الشعر. فالنص الواحد قد يكون خليطاً من أنواع شتى وقد يجمع النص العلمي، كالشأن في بعض المجلات المتخصصة الرفيعة، بين شموخ الأسلوب البياني الممتع والمحتوى

العلمي الراقي المبدع وما ينفرد به كنص علمي هو المصطلح المتخصص في موضوعه والمفهوم المتعمق في تناوله. كما أن ما يسمى بالنص الأدبي يتوجّب أن ينشد الدقة. فليس كافيا أن ينقل المترجم إلى العربية، مثلا، كما يحلو له، أحياناً بتصرف مبتعد، وقد يكون هذا للتملص من الصعوبة، ما قاله الناثر أو الروائي الأجنبي، وإنما المطلوب منه أن يبلغ إلى القارئ العربي أساليب نثرية عن غيره ليغني لغته، فيظهر له كيف يفكر الكاتب المنقول عنه وكيف ينسج نصه ويحبك تراكيبه ويتدرج في جمله.

وفيما يلي ترجمات تبين ذلك، مستقاة من موقع الجمعية الدولية المترجمين العرب (واتا)، تتضح منها محاولة المترجم العربي مترددا بين التخلص من الأصل والتدقيق في النقل، مع اقتراح ترجمة بيانية من المأمول أنها تجمع بين الدقة والبيان:

الأصل

Of course at the time I was hardly conscious of the changes that were occurring in my own mind. Like everyone about me I was chiefly conscious of boredom, heat, dirt, lice, privation, and occasional anger. It is quite different now. This period which then seemed so futile and eventless is now of great importance to me. It is so different from the rest of my life that already it has taken on the magic quality which, as a rule, belongs only to memories that are years old. It was beastly while it was happening, but it is a good patch for my mind to browse upon. I wish I could convey to you the atmosphere of that time.
George Orwell, *Homage to Catalonia*, pp. 88-89

الترجمة ألف (غير مراجعة)

بالطبع لم أكن حينها مدركاً لما يمر به فكري من تغيير. فمثلي مثل كل من حولي، كل ما كان يسترعيني هو الملل وحرارة الجو والقذارة والحشرات وحالة الحرمان ونوبات الغضب التي كنت أتعرض لها من حين إلى آخر. أما الآن، فالأمر صار مختلفاً، وتلك الفترة التي بدت حينها أياماً فارغة بلا قيمة أصبحت الآن ذات أهمية كبرى بالنسبة لي. أصبحت مختلفة كل الاختلاف عن سائر حياتي، حتى أنها صارت بالفعل تحمل الطابع السحري الذي طالما انفردت به الذكريات التي انطوت عليها السنون. في ذلك الوقت بدى الأمر شنيعاً. أما الآن، فياله من رقعة ثرية في عقلي أرتادها كثيراً. كم أتمنى لو كان بإمكاني أن انقل لكم عبق تلك التجربة.

الترجمة باء (غير مراجعة)

بالطبع في ذلك الوقت كنت بالكاد واعيا للتغيرات التي تحدث في ثنايا عقلي. مثلي كأي إنسان آخر يعي الضجر والحرارة والقاذورات والقمل والحرمان ، و الغضب أحيانا. ولكن يختلف الأمر الآن. هذه الفترة التي بدت عقيمة و غير مجدية، أصبحت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لي في الوقت الراهن. حيث انها تختلف عن باقي السنين التي عشتها والتي أضحت من عداد الذكريات لسنوات مضت . كانت بغيضة وفظة عند حدوثها ولكنها رقعة جيدة ومفيدة لعقلي كي يتصفحها ، آمل أني تمكنت من نقل الصورة السائدة في ذلك الوقت.

الترجمة جيم (غير مراجعة)

في ذلك الحين بالطبع، بالكاد كنت أعي التغيرات التي بدأت تطرأ على فكري. حالي حال الجميع حولي، كنت أعاني بشكل رئيسي من الضجر، والحر، والقذارة، والقمل، والحرمان، ونوبات الغضب. الأمر مختلف كليا الآن. فتلك الفترة التي بدت لي حينها عقيمة وخالية من الأحداث، اصبحت ذات أهمية كبرى بالنسبة لي. فهي مختلفة جدا عن بقية مراحل حياتي،

فقد اتخذت لنفسها سحرها الخاص الذي يضم الذكريات القديمة. ففي حين اعتبرتُها موحشة ومملة عند حدوثها، إلا أني أجدها ساحرة وجميلة حين أستعيد ذكرياتها. أتمنى أن أكون قد أوصلت لك ما حملته أجواء تلك الفترة من معنى.

ترجمة مقترحة:

كنت عندئذ أكاد لا أدرك [لم أكن أفطن عندها إلا قليلاً ل] [لم أكن إلا قليلاً على بصيرةٍ [بيّنة] من] . [لم أكن أعي [أدرك] يومئذٍ [يومذاك] إلا قليلاً] التغيّرات التي كانت تحدث [تعتمل] في [تطرأ على] فكري [خاطري] [بالي] [ذهني]. وكنت، كالذين من [كمَن] حولي متفطّنا على الخصوص للملل والحر والقذارة والقمل والحرمان والخطر العارض [الطارئ]. والآن، بات الأمر مختلفا تماما [تمام الاختلاف]. فهذه الفترة التي بدت أنها عقيمة وفارغة غدت عظيمة الشأن عندي. إنها مغايرة لبقية حياتي إلى حد أنها أصبح لها حقا بريق السحر الذي لا تنعت به سوى الذكريات [الذي ليس سوى للذكريات] التي مرت عليها السنون. كانت متوحشة في وقوعها، إلا أنها مساحة يحلو [يروق] لفكري أن يسرح [يتنقّل] [يجول] فيها. كم أودّ [أتمنى] [يا لرغبتي في] أن أنقل لك أجواء ذلك الزمان.

٣- خاتمة

قوام الترجمة الصحيحة الكتابة ووسيلتها الناجعة الإحاطة بالنظريات التي تحدد القواعد وترسم المسالك لها. ولقد آن الأوان أن يتوقف المترجم الممارس ، من حين لآخر، فيتأمل في ما يتبعه من كيفية ويفكر في ما يصادفه من مشاكل وعراقيل وينصرف المنظر، بين الفينة

والأخرى، عن عالم التنظير الصرف منطلقا إلى التطبيق ليتأكد مما يفتي فيه، ثم يعود إلى النظرية لإغنائها والتوسع فيها عودة نافعة مجددة، لا لمجرد التفكير الذي لا يقبل الانطباق.

ولحسن الحظ، فإن عدد مدارس الترجمة ومعاهدها متكاثر لتخريج المترجم الصالح الذي يؤدي هذه المهمة الصعبة على خير وجه. ومن اللازم التركيز، في تلك المؤسسات الجامعية، على مادة الإنشاء لصقل الموهبة الكتابية وتدريس آداب اللغات تدريسا هادفا معمَّقاً من منظور الترجمة.

وعلى العموم، يتعيّن توجيه الطالب الوجهة الحسنة وتبويب معارفه والارتقاء بها بواسطة الدراسات اللغوية وفقه اللغة ليقف على خصائص اللغة ويسبر أغوارها ويعرفها معرفة المتخصص المتبصّر.

ولا داعي للتمييز بين النصوص، من أدبي وغير أدبي، فيما خلا الشعر، لأنها سواسية في ما تقتضيه من المترجم من تمحيص وبيان ودقة وإتقان.

وإن المترجم المثالي هو الذي يجاري المؤلف والواضع، على حد تعبير الجاحظ، مجاراة المقتدر، فيضمن دقة الأداء ويجول في الكتابة ويصول ويحرص على البيان والتبيين، مراجعاً معرِّبا مقرِّباً.

وليست المراجعة، في نهاية المطاف، سوى أداة للجودة وسبيل إلى الارتقاء في مدارج الإبداع اللغوي. إنها كتابة في الترجمة في المقام الأول، سواء راجع المترجم لنفسه أم راجع له غيره.

وتظل الترجمة ترجمات، حسب الغرض منها. وأنبل ترجمة وأسماها هي الترجمة الكتابية، التي تسمح بالإطلالة على كيفية تفكير الغير وأساليب تصرفه في لغته، مع احتواء الفكر في حلة تمتع العقل وتثري اللغة والثقافة المنقول إليها.

وبذلك، فإن الترجمة تتم بين الثقافات أكثر مما تتم بين اللغات، حسب مذهب المدرسة الألمانية. وهذا عين الصواب.

المراجع

١- **العربية**

ابن خلدون، عبد الرحمن [٢٠٠٠] **المقدمة. بيروت: الدار العصرية**

الجاحظ، أبو عثمان [١٩٦٩] **كتاب الحيوان**. بيروت: دار الكتاب العربي.

الديداوي، محمد (٢٠٠٨) "ازدواجية اللغة والمزاوجة بين اللغات"، ورقة مقدمة إلى ندوة إسهام المغاربة في دراسات الترجمة، الرباط، ٢٠٠٨

القرطاجني، حازم [٢٠٠٢] **منهاج البلغاء وسرج الأدباء**. بيروت: دار الغرب الإسلامي

القاضي، محمد (٢٠٠٩) "طليطلة ومدرسة المترجمين- المدرسة الأولى للاستعراب الإسباني، موقع واتا الإلكتروني (أنظر http://www.wata.cc/forums/showthread.php?t=51187)

٣- **غير العربية**

Beaugrande, de (Robert) (19884) "*Text Production. Towards a Science of Composition*. In: Roy O. Freedle (ed.). **Advances in Discourse Processes**. Vol. XI (see www.deaugrande.com)

Beaugrande, de (Robert) (1995) **A New Introduction to Study of Text and Discourse. Cognition, Communication and Freedom of access to knowledge.** [divided into seven fascicules for students]. University of Vienna.

Beaugrande, de (Robert) (1997) *"Text Linguistics, Discourse Analysis and the Discourse of Dictionaries"*. In : Ad Hermans (ed.). Les dictionnaires spécialisés et l'analyse de la valeur. Louvain-la-Neuve, 57-74.

Doucet, Christian (2005) **La qualité.** Collection *Que sais-je ?* Paris : Presse Universitaires de France.

Mossop, Brian (2001) **Revising and editing for Translators.** Manchester: St Jerome.

Oustinoff, Michaël [2007] **La taduction.** Paris : Presses Universitaires de France.

Peeters, Jean (2005) (ed.) **La traduction de la théorie à la pratique et retour :** Rennes : Presse Universitaires de Rennes.

Snell-Hornby, Mary (1995) **Translation Studies. An integrated Approach.** Amsterdam: John Benjamins.